لحظات حرجة

"حول جراحك إلى حكمة" أوبرا وينفري

لازلت أنبش في تلك الكومة السوداء ، لم تكن سوداء في حقيقة الأمر إنما رؤيتي التي تتعامد عليها هي التي تضفي عليها السواد ، أنظر تلك الكومة في تمعن وأضعها في المركز أي محل الاهتمام دائماً، لا أعلم لماذا أهتم بها وأقدسها كأن لها أهمية ومكانة رفيعة في قلبي .

أني أمقتها ، لا أحبها بل لا أطيق وجودها لكن لا أستطيع التخلص منها أبداً فهي تحتل مكاناً بارزاً بقلبي ولا أقوي حتى أن أحركها ، لقد وصل بي الحال أني حتي لا أقوى على إطالة النظر إليها ! لا يمكن مواجهاتها فهي قوية وراسخة ، والغريب أن ليس لها جذور تحميها ، ولا يوجد ما تتغذى عليه حتى تنتصر بقوتها وقسوتها على ضعف قلبي وهشاشة فكري ، أنا فقط من أراعها ، أنا من أحميها ، أنا من أحافظ على بقائها رغم عدم رغبتي في وجودها مطلقاً .

هذه الكومة السوداء تستحوذ على مفاتيح قلبي ، تأسرني بأغلالها ، تنضح على لوني بسوادها وكأبتها ؛ تترسب بداخل كياني على هيئة ضباب كثيفة تنبع من ظلام الذكريات المؤلمة ، عندما تمس وجداني أشعر ببعض النغزات التي تعتري مشاعري ، أتألم ولكن ليس ألماً حسياً ملموساً ؛ فهي نوبات أعمق من ذلك الألم المحسوس الذي يصيب أحد أجزاء الجسم، فهو ألم داخلي سحيق يغلفه الندم واليأس ونتاجه جلد الذات ومرارة الصورة الذاتية الخاطئة .
تنبعث من الكومة السوداء أصوات ضربات السوط الذي يضرب بكل قسوته أفكاري ، هذه الأصوات تسجنني في آنين الماضي ، تردد في جفاء همهات الندم الأليم وتقول في خيلاء : لماذا فعلتِ ذلك ؟ لماذا تصرفتِ على هذا النحو من الحمق ؟ لماذا لم تنتهجِ الحكمة في أفعالك ؟ لماذا تم خداعك ؟ لماذا كانت صورتك أمام الآخرين غير جديرة بالفخر؟ لماذا أنتِ خجلة من تلك الذكريات ؟

كانت رأسي تنحني في انكسار مهين كلما مرت أمامى لحظات الفشل ، لحظات الحمق ، لحظات الخديعة ، كنت أحاول أن أرفع رأسي أمامها ولكن لا محال ، فهي تعرف نقاط ضعفي ، تعرف كيف تذلني وتجعل صورتي أمام ذاتي سيئة كريهة ، لحظات قاسية أمر بها كلما نظرت لتلك الكومة السوداء : كومة الذكريات الأليمة ، كومة الماضي بكل أحداثه البغيضة.

"لا تحكم أحد على ماضيه ، فماضي الألماس فحم " مثل صيني

سمعت صوتاً قوياً يصرخ بشدة وكأنه ينبهني إلى رثاء حالي ، أصغيت إليه باهتمام فأخيراً هناك من شعر بألامي ، قال لي : يا حمقاء ! لماذا لا تتخلصِين من تلك الكومة البغيضة ؟ لماذا تريدِين أن تندثرِ في طيات الماضي ؟ فلقد ولى الماضي وفات ولديكِ الأن كل ما هو جميل ! لماذا تحتفظِين بتلك الكومة وتقدرينها وترفعين من شأنها بينما هي تذلك وتسخر منك؟ . . فقلت بيأس : ماذا أفعل ؟ قال ذلك الصوت بحماس : ألقي بها من النافذة الأن... فلا وقت للندم ...أسرعِي لتلحقِين ما فاتك ولكن يجب أن تحافظِي على قلب تلك الكومة ولا تتخلصِين منه ،أحتفظِي بالذكرى ذاتها وأنزعِي عنها الألم والندم ، فهي رصيد خبرتك وآداة تعليمك في ذلك الصرح الواسع ، فهي معلمك في الحياة ،لا تلجئِ لجلد الذات وتتخيلِين نفسك ساذجة ضعيفة؛ فالقوة تبنع من الفشل المتكرر والحكمة تأتي من الإخفاقات ، والذكاء يولد من كثرة الخبرات.

الماضي بكل جراحاته هو من يجعلك أقوى وأنضج وأجمل ، أفخرِي بخبراتك ، عانِدي ألمك ، أصنعِي حكمتك من قلب تلك الكومة اللعينة . كلما تألمتِي ، كلما تعلمتِي أيتها الجميلة ، كلما أثمرتِي وأزهرتِي ! فقط حولِي جراحك إلى حكمة !